

صورة المرأة في مسرحية "فاطمة" لمحمد بن قطاف

The Image of Women in the Play "Fatima" by Mohammed Ben Qetaf.

1* زينب شيخاوي

1 جامعة أحمد بن بلة وهران

chaimabelarbia@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/11/06 تاريخ القبول: 2025/01/04 تاريخ النشر: 2025/01/22

الملخص:

تواجه المرأة تحديات كبيرة في المشاركة الفعلية في المسرح، وذلك نتيجة لعدة عوامل اجتماعية وثقافية. رغم ذلك، لم تغب المرأة عن الحركة الثقافية، بل تمكنت من بناء مكانة متميزة لنفسها من خلال تجاربها المتعددة وإنجازاتها في مجالات التمثيل والإخراج والتأليف الدرامي.

في مسرحية "فاطمة"، يسعى محمد بن قطاف إلى استكشاف القضايا النسائية من منظور اجتماعي وسياسي، معبراً عن واقع المرأة في المجتمع الجزائري. عبر هذه المسرحية، يطرح بن قطاف معاناة المرأة وآلامها، مما يتيح للمتلقي فرصة التأمل في التحديات التي تواجهها ويعكس عمق تجربتها الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: المسرح، صورة المرأة، محمد بن قطاف، مسرحية فاطمة، التجربة النسوية.

Summary:

Women face significant challenges in actively participating in theater due to various social and cultural factors. Nevertheless, they have not been absent from the cultural movement; rather, they have managed to carve out a distinguished place for themselves through their diverse experiences and achievements in the fields of acting, directing, and playwriting .

*المؤلف المرسل

زينب شيخاوي

In the play "Fatima," Mohamed Ben Kottaf seeks to explore women's issues from a social and political perspective, expressing the reality of women in Algerian society. Through this play, Ben Kottaf presents the struggles and pains of women, providing the audience with an opportunity to reflect on the challenges they face and reflecting the depth of their human experience.

Keywords: Theater, Image of Women, Mohamed Ben Kottaf, Play "Fatima," Feminist Experience.

مقدمة:

بعد أن حققت المرأة نجاحات بارزة في مجالات القصة والرواية، بدأت رحلة جديدة في عالم المسرح، حيث تُعد هذه الخطوة امتدادًا طبيعيًا لطموحها الإبداعي ورغبتها في التعبير عن قضاياها وهوياتها. يرتبط النص المسرحي النسوي العربي بنظيره الغربي، لكنه يتميز بخصوصيته الثقافية، إذ يُعبر عن تجارب واقعية تنبع من عمق البيئة العربية، وهو ما يعكس الوعي النقدي المتزايد لدى الكاتبات والمخرجات العربيات.

تاريخ المسرح النسوي العربي يعكس مسارًا حافلًا بالتحديات والصراعات. فقد واجهت المبدعات العربيات نظرة سلبية من بعض فئات المجتمع، حيث كانت هنالك اعتقادات سائدة تهمش دور المرأة وتعتبرها غير مؤهلة للظهور في الفضاءات العامة. علاوة على ذلك، تعرضت الفنانات لفتاوى وتحذيرات من بعض رجال الدين الذين اعتبروا المسرح فنًا غير مقبول، مما زاد من حدة الصراعات التي يتعين على المرأة التعامل معها.

على الرغم من هذه المعوقات، نجحت العديد من المبدعات في أن يصنعن لهنفسهن مكانة في الساحة المسرحية، فاستطاعت أعمالهن أن تتناول قضايا متعددة مثل الهوية، والحقوق الاجتماعية، والنضال من أجل المساواة. ومن خلال تلك الأعمال، تفاعلت النساء مع واقعهن، معبرات عن تجاربهن الشخصية والمعاناة التي يعانين منها، مما أضفى بعدًا إنسانيًا على المسرح العربي.

في هذا السياق، نستعرض تجربة المرأة في المسرح العربي بشكل شامل، مع التركيز على التطورات التي شهدتها المسرح الجزائري. سيتم تحليل الأعمال المسرحية التي قدمتها النساء، وكيف استطعن من خلالها إبراز أصواتهن وقضاياهن. كما سنناقش

صورة المرأة في مسرحية "فاطمة" لمحمد بن قطف

العوامل الاجتماعية والسياسية التي أثرت على تلك التجارب، وكيف ساهمت هذه التجارب في إعادة تشكيل الفضاء الثقافي والمجتمعي في الجزائر. إن دراسة دور المرأة في المسرح لا يقتصر على النظر إلى الأعمال الفنية فحسب، بل يستدعي أيضًا استكشاف السياقات الثقافية التي تتفاعل فيها هذه الأعمال. لذا، فإن هذا البحث يسعى إلى تقديم رؤية شاملة ومعقدة حول التطور المستمر للمسرح النسوي، مع التركيز على التحديات والإنجازات التي ساهمت في تشكيل هذا الفن.

أولاً-المسرح العربي والمرأة

تُعتبر العوائق الثقافية والاجتماعية واحدة من أبرز الأسباب التي حالت دون نشوء المسرح العربي بشكل فعال منذ بدايات القرن العشرين. إذ ارتبطت فكرة المسرح في أذهان الكثيرين باعتباره رمزاً للفجور والكذب والتزوير، مما أسهم في تشكيل نظرة سلبية تجاه هذا الفن. وقد لعبت هذه النظرة دوراً رئيسياً في تقويض محاولات تطوير المسرح العربي، إذ اعتُبر فناً يبتعد عن القيم الأخلاقية والتقاليد الراسخة، علاوة على ذلك، وُجدت مجموعة من الموانع الاجتماعية التي حالت دون مشاركة المرأة في فن التمثيل. في المجتمع العربي القديم، كانت المرأة تُعتبر غالباً كائنًا يحتاج إلى الحماية، مما جعل مشاركتها في الفنون، وخاصة في المجال المسرحي، محل جدل ونقاش. هذه الموانع لم تقتصر على فترات تاريخية سابقة، بل لا تزال قائمة حتى اليوم، حيث تواجه المرأة تحديات كبيرة في سبيل الظهور الفني.¹

إن هذه المواقف السلبية والنظرة التقليدية تجاه المسرح وتجاه دور المرأة فيه قد أسهمت في انغلاق الفرص أمامها، مما جعل من الصعب عليها التعبير عن ذاتها والمشاركة في الفعل المسرحي. وعلى الرغم من التغيرات الثقافية والاجتماعية التي شهدتها بعض المجتمعات العربية، فإن النظرة الدونية للمسرح ودور المرأة فيه لا تزال تؤثر على شرائح واسعة من المجتمع، مما يعيق تقدم الفنون المسرحية ويقلل من فرص التعبير الإبداعي.

بالتالي، فإن فهم هذا السياق المعقد يعتبر ضرورياً لدراسة التطورات الحالية في المسرح العربي، والتحديات التي لا تزال تواجهها النساء في هذا المجال، مما يستدعي

زينب شيخاوي

ضرورة إعادة التفكير في الأبعاد الثقافية والاجتماعية التي تحيط بالفن المسرحي ودور المرأة فيه.

في سياق مسرح "مارون النقاش"، كان دور المرأة محصوراً في تمثيل وجود متواضع، حيث اقتصر تجسيد شخصياتها على الممثلين الشباب، مما يعكس نظرة المجتمع التقليدية التي كانت تُقيد الفضاء الفني للنساء. هذا الوجود النسائي على خشبة المسرح لم يكن يُعتبر أكثر من مجرد تمثيل رمزي، يفقر إلى العمق والتعقيد الذي يُفترض أن تحظى به الشخصيات النسائية في الفنون. فقد كان المسرح في ذلك الوقت يُنظر إليه كعالم يُجسد الوهم ويبتعد عن القيم السائدة، مما جعل من الصعب على النساء الانخراط في هذا المجال، عندما انتقل سليم القباني إلى دمشق، اتخذ خطوة جريئة تمثلت في دعوة فتيات لأداء الأدوار النسائية، مما يعتبر علامة فارقة في تاريخ المسرح العربي. هذا الاختيار لم يكن مجرد محاولة لإدماج النساء في الفنون، بل كان أيضاً تحدياً للأعراف الاجتماعية التي كانت تُقيد حركتهن. ومع ذلك، سرعان ما ارتفعت أصوات معارضة من بعض الشيوخ الذين رأوا في هذا الاختلاط تهديداً مباشراً للقيم الأخلاقية والتقاليد المجتمعية. وبناءً على هذه الضغوط، وجد القباني نفسه مضطراً إلى اتخاذ قرار صعب بإغلاق مسرحه والهجرة إلى مصر، بحثاً عن بيئة أكثر انفتاحاً وتقبلاً لتجاربه الفنية.²

تُظهر هذه الحادثة الصراع العميق بين الفنون والتقاليد، حيث يعكس المسرح كمجال للفنون قدرة على التجديد والتغيير، بينما يُظهر المجتمع في الوقت ذاته مقاومة قوية ضد هذا التغيير. إن صدى هذه الأصوات المعارضة يسلط الضوء على التحديات التي تواجهها المرأة في السعي لتحقيق دورها في الفنون، حيث كانت تتعرض لقمع اجتماعي وقيود ثقافية تفرض عليها أدواراً محدودة ومقيدة.

هذا السياق التاريخي يوضح كيف أن محاولات إدماج المرأة في المسرح كانت تُقابل بعوائق مجتمعية متجذرة، مما يُبرز ضرورة فهم العلاقات المتداخلة بين الثقافة والفنون من جهة، والقيود الاجتماعية من جهة أخرى. إن هذه الديناميكيات لا تزال قائمة حتى يومنا هذا، حيث تواجه النساء تحديات مشابهة في سعيهن لتوسيع آفاق

صورة المرأة في مسرحية "فاطمة" لمحمد بن قطاف

مشاركتهن في الفنون والثقافة، مما يستدعي إعادة النظر في المواقف الثقافية والاجتماعية التي لا تزال تؤثر في مسيرتهن الإبداعية.

وبذلك، لا تُعتبر هذه القصة مجرد سرد تاريخي، بل هي دعوة للتفكير العميق في كيفية تأثير العوامل الثقافية والاجتماعية على الفن، ودور المرأة في تشكيل المشهد الثقافي. إن البحث عن مساحات جديدة للمرأة في المسرح يعكس حاجة مجتمعية ملحة لإعادة تقييم القيم والمعايير التي تُحدد الأدوار الفنية، ويؤكد على أهمية إتاحة الفرصة للنساء للتعبير عن ذواتهن والمساهمة في بناء الفنون والثقافة.

تُعتبر تجربة الفنان "يعقوب صنوع" من أبرز التجارب المسرحية التي اتسمت بشدة النقد لسياسات مصر وفرض الأعراف الاجتماعية السائدة في عصره. وقد استخدم صنوع المسرح كمنصة للتعبير عن آرائه الجريئة، حيث قام بمشاركة ممثلين في أداء الأدوار النسائية، مما أثار قلق الخديوي وأدى إلى تفاعلات سلبية من قبل السلطة. ومع تصاعد الضغوط، انتهى الأمر بالنفي القسري لصنوع خارج مصر، مما يعكس التوترات الشديدة بين الفن والسلطة في تلك الفترة.

في نهاية القرن التاسع عشر، بدأ مجموعة من المثقفين العرب في تبني قضية تحرر المرأة كجزء من مشروعهم الإصلاحية والاجتماعية والثقافية والسياسية. من بين هؤلاء الرواد، نجد أسماء بارزة مثل "فرح أنطوان"، و"أحمد لطفي السيد"، و"قاسم أمين"، الذين شكلت كتاباتهم ومنشوراتهم منصة رئيسية للنقاش حول قضايا المرأة.

كان قاسم أمين، على وجه الخصوص، شخصية محورية في هذا السياق، حيث دعم بقلمه فكرة تحرير المرأة في المجتمع العربي. من خلال مقالاته وكتبه الشهيرة مثل "تحرير المرأة" و"المرأة الجديدة"، طرح أمين رؤى جديدة تتعلق بأهمية تعليم المرأة واندماجها في الحياة العامة. لقد كان يدعو إلى كسر القيود التي كانت تعيق مشاركة المرأة في مجالات متعددة، معبراً عن رؤيته لمستقبل يضمن للنساء حقوقهن ويعزز من دورهن في بناء المجتمع.³

تتداخل هذه التجارب الفكرية مع تجربة "يعقوب صنوع"، حيث كان كلاهما يسعى إلى تحدي الأعراف الاجتماعية والسياسية التي كانت تُحد من حرية الفرد، سواء كان

زينب شيخاوي

رجلاً أو امرأة. إن هذه الديناميكيات تشير إلى فترة تحولات اجتماعية وثقافية عميقة، حيث تزايد الوعي بأهمية قضايا المرأة كجزء لا يتجزأ من مشروع التقدم الاجتماعي. من ثم، يعكس هذا التفاعل بين الفن والسياسة، وبين المثقفين وقضايا المجتمع، كيف كانت تلك الحقبة زمنًا مفعماً بالأفكار الجديدة والتحديات. إن تحولات مسرح "يعقوب صنوع" وتوجهات المثقفين العرب تسلط الضوء على الجهود الرامية إلى دفع عجلة الإصلاح الاجتماعي والسياسي، وهو ما يُظهر أهمية الفن كأداة للتغيير والمقاومة، ويؤكد على دور المرأة المحوري في هذا السياق.

مع تطور العلم وتقدم المعرفة، بدأت النساء في كسر القيود التي فرضتها التقاليد والأعراف المجتمعية، والتي كانت تعيق مشاركتهن في الفنون، وخاصة في مجال المسرح. تاريخياً، كانت الفنون المسرحية تُعتبر مجالاً مغلقاً أمام المرأة، حيث جرى النظر إليها بشكل سلبي، مما منعها من التعبير عن نفسها أو الانخراط في هذا الفن. ولكن مع مرور الزمن، بدأت هذه الصورة تتغير، وبدأت النساء يناضلن بجدة لاستعادة حقوقهن، مما ساهم في فتح آفاق جديدة.

صراع النساء لم يكن مجرد قضايا فردية، بل كان جزءاً من حركة اجتماعية أوسع تسعى لتحقيق المساواة ورفع الوعي حول حقوقهن. في خضم هذا النضال، أصبح من الممكن للمرأة أن تشارك بفعالية في العروض المسرحية، حيث بدأت في استكشاف الأدوار المختلفة التي يمكن أن تتقمصها. تفاعلت مع النصوص المسرحية والسيناريوهات، وفهمت تفاصيل العرض والإخراج، مما جعلها تتعمق في عالم المسرح بشكل أكبر.

هذا التفاعل مع المسرح لم يكن مجرد تجربة عابرة، بل أتاح للمرأة فرصة لتطوير مهاراتها الإبداعية. مع مرور الوقت، أدركت أنها لم تعد مجرد ممثلة تؤدي أدواراً مكتوبة مسبقاً، بل يمكنها أيضاً أن تكون كاتبة ومؤلفة، قادرة على صياغة النصوص التي تعبر عن تجاربها وآمالها. هذا التحول في الدور يعكس كيف أن الفنون يمكن أن تكون أداة للتغيير، ليس فقط على مستوى الفرد، بل على مستوى المجتمع ككل.

إن كتابة المسرح تمثل خطوة محورية في عملية تمكين المرأة، حيث يمكنها من خلالها تناول قضاياها ومناقشة التحديات التي تواجهها. فعندما تكتب المرأة المسرح،

صورة المرأة في مسرحية "فاطمة" لمحمد بن قطاف

تصبح قادرة على تشكيل الصورة التي ترغب في تقديمها، وتعبّر عن قضايا مثل الهوية، والصراع الاجتماعي، والتحديات الشخصية بطرق تعكس تجاربها الفريدة. هذا الانتقال من المشاركة كممثلة إلى كاتبة يشير إلى تغيير جذري في مفهوم الدور النسائي في الفنون. لقد أثبتت المرأة أنها ليست فقط جزءاً من السرد، بل هي أيضاً صانعة للقصة، قادرة على تقديم رؤى جديدة تُثري المشهد الثقافي والفني. إن هذا التحول في دور المرأة في المسرح يتزامن مع تغييرات أوسع في المجتمع، حيث تزداد أهمية الفنون كوسيلة للتعبير عن الذات والتفاعل مع القضايا الاجتماعية. الفن، وخاصة المسرح، يُعد منصة حيوية للتعبير عن المعاناة والنجاح، ويُعزز من دور المرأة كمؤثرة في الثقافة المعاصرة.

لذا، يمكن القول إن رحلة المرأة نحو تحقيق مكانتها في المسرح هي تجسيد لصراع طويل الأمد من أجل حقوقها، وهي مثال حي على كيف يمكن للفن أن يكون وسيلة فعالة للتغيير الاجتماعي. إن هذه الديناميكية تعكس أهمية استمرار النساء في السعي وراء إبداعهن، وضرورة دعم المجتمع لجهودهن في إعادة تعريف الأدوار التقليدية وتمكين الصوت النسائي في جميع المجالات الفنية.

في سياق تطور المسرح في مصر، الذي كان رائداً في المنطقة العربية، نجد أن الكاتبة "فتيحة العسال" قد قدمت مساهمات بارزة عبر نصوصها المسرحية التي تعكس قضايا المرأة وتسلط الضوء على التحديات التي تواجهها. في مسرحيتها الشهيرة "سجن النساء"، تُبرز العسال ضرورة الكفاح من أجل تحرير المرأة من قيود العادات والتقاليد المتوارثة، التي زرعها النظام الأبوي وجعلت النساء تعاني من آثارها السلبية على مختلف الأصعدة. تعتبر هذه المسرحية بمثابة دعوة للتصدي للممارسات الاجتماعية التي تحرم المرأة من حقوقها وتعيق تقدمها، مما يُظهر أهمية الوعي الاجتماعي في إحداث التغيير، أما في مسرحيتها "بالأفence"، فنقدم العسال رؤية نقدية للعلاقة الثنائية بين الرجل والمرأة، كاشفة عن الخلل الاجتماعي الذي ينجم عن التباين في القوى بين الجنسين. من خلال هذه الأعمال، تُعبر العسال عن رؤية متكاملة تقضح أوجه القصور في العلاقات الاجتماعية، مُسلطة الضوء على ضرورة إعادة النظر في الأدوار التقليدية المفروضة. بالإضافة إلى ذلك، تتميز أعمالها الأخرى مثل

زينب شيخاوي

"البين بين"، "ساعة الصفر"، و"ليلة الحناء" بتناول قضايا متنوعة تتعلق بالمجتمع والمرأة، مما يُبرز قدرتها على التعبير عن معاناة النساء ورغباتهن في إطار فني، إلى جانب العسال، تبرز الكاتبة "ليلى عبد الباسط" كأحد الأسماء اللامعة في المسرح المصري، حيث كتبت مجموعة من المسرحيات التي تتناول قضايا معاصرة، مثل "أزمة شرف"، "ثمن الغربية"، و"بعد طول غياب". من خلال هذه الأعمال، تستكشف عبد الباسط الصراعات الداخلية التي تعيشها الشخصيات، مُعبِّرةً عن هموم المجتمع وتطلعات النساء في عالم متغير. إن مساهمات كل من فتيحة العسال وليلى عبد الباسط تؤكد على أهمية المسرح كوسيلة فاعلة للتعبير عن قضايا المرأة وتعزيز الوعي الاجتماعي، مما يساهم في تغيير النظرة التقليدية للمرأة في المجتمع المصري.⁴

تُعتبر الكاتبة الفلسطينية "أسمى طوبة" من الأسماء البارزة في تاريخ المسرح العربي، حيث أثرت الساحة الثقافية من خلال أعمالها التي عُرضت في لبنان والأردن، ومن أبرزها مسرحية "نساء وأسرار 1022"، التي تعكس بعمق القضايا الإنسانية والاجتماعية التي تواجهها النساء في مجتمعاتهن. في هذا السياق، تبرز أيضًا الكاتبة السعودية الدكتورة "ملحة عبد الله"، التي تُعدّ رائدة في مجال الكتابة المسرحية بالملكة، حيث حصلت على درجة الدكتوراه في المسرح من لندن، مما يضعها في موقع متقدم من حيث المعرفة الأكاديمية والتطبيق العملي. بدأت ملحة مشوارها الفني بمسرحية "أم الفاس"، التي لاقت صدى واسعًا، وتتابع إنتاجها لتشمل أكثر من عشرين مسرحية، مما يُساهم في تشكيل هوية مسرحية سعودية غنية ومتنوعة، إلى جانب هاتين الكاتبتين، تبرز أسماء خليجية أخرى متميزة مثل "إنعام سعود"، و"أمينة ربيع"، و"باسمة يونس"، و"قطامي"، و"فاطمة المزروعى"، اللواتي أسهمن في إثراء الساحة المسرحية بمواضيع تتناول القضايا النسائية والهوية الثقافية. تعكس أعمال هؤلاء الكاتبات رؤية جيل جديد يسعى إلى استخدام المسرح كمنصة لطرح قضايا مهمة، مما يُبرز دوره كوسيلة فعالة للتغيير الاجتماعي والثقافي. إن مساهماتهن لا تقتصر على تقديم الفنون، بل تُعبر أيضًا عن صوت المرأة العربية، مؤكدة على ضرورة الحوار والتفاعل مع التحديات التي تواجه المجتمع، وهذا ما يُعزز من أهمية المسرح كأداة لنشر الوعي وإحداث تأثير إيجابي في المجتمع.⁵

صورة المرأة في مسرحية "فاطمة" لمحمد بن قطاف

ثانيا - المسرح الجزائري/المرأة

لطالما كانت صورة المرأة ومكانتها في المجتمع الجزائري تعكس واقعًا متشابكًا ومعقدًا، اتسم بتحديات متزايدة وضغوط اجتماعية متأصلة. فقد وُضعت المرأة في موقع متدنٍ مقارنة بالرجل، إذ عُرِفَت الأدوار التقليدية بأنها تحصرها في وظائف الطاعة والامتثال لأوامر الزوج أو رب الأسرة. هذا المفهوم، الذي تكرّس عبر الأجيال، جعلها تعاني من حرمانها من العديد من الحقوق الأساسية، مثل حرية التعبير، والقدرة على التعليم، والفرص المهنية. ومع مرور الزمن، تفاقمت هذه القيود بسبب مجموعة من العوامل الثقافية والاجتماعية والسياسية التي أعاقَت تقدم المرأة في شتى المجالات.

في ظل هذه التحديات، نمت روح النضال والمقاومة لدى العديد من النساء اللواتي لم يرضخن للظروف المفروضة عليهن. بل على العكس، تمكنت بعضهن من استخدام القلم كأداة للتعبير عن آمالهن ومشاعرهن، وكسرن القيود التي كَبَلَتِهِنَّ. لقد كانت تجربتهن تُظهر شجاعة لافئة ورغبة حقيقية في التغيير، حيث تحولت العديد منهن إلى رموز للقوة والتحدي، سواءً كأديبات أو فنانات، مما ساهم في إعادة صياغة الهوية النسائية في المجتمع.

ومع ذلك، كان دخول المرأة إلى عالم المسرح تحديًا كبيرًا، حيث اعتُبر هذا الفن حكرًا على الرجال. وقد أشار رائد المسرح "عاللو" في مذكراته إلى النقص الحاد في العنصر النسائي في الأعمال المسرحية، مما جعلهم مضطرين لاستخدام الرجال في أدوار النساء. هذه الظاهرة لم تكن مجرد قلة في المشاركة النسائية، بل تعكس عدم الوعي بأهمية صوت المرأة في التعبير الفني، وضرورة تمثيل تجاربها ومعاناتها على خشبة المسرح. لقد كان يُستخدم الرجال، مثل إبراهيم محمود الذي لعب دور زوجة جحا، ليعكس صورة غير دقيقة للواقع، مما يُبرز أهمية تقديم المرأة في الفنون كحاملة لقصصها.⁶

تلك التحديات لم تُثْنِ النساء عن متابعة أحلامهن، بل كانت دافعًا لهن للبحث عن مساحات جديدة لتمثيل أصواتهن. ومع مرور الزمن، بدأت المرأة الجزائرية تقتحم عالم المسرح بقوة، وتؤكد حقها في التعبير والإبداع. إن دخولها إلى هذا المجال لم يكن

زينب شيخاوي

مجرد تغيير في الأدوار، بل كان ثورة على الأعراف التي كانت تقيدّها، مُعبّرةً عن تطلّعات جيل جديد يسعى إلى تغيير واقع المرأة في المجتمع.

ومع تقدّم الزمن، أصبحت الفنون المسرحية وسيلة فعالة لتقديم قضايا المرأة والتعبير عن تحدياتها اليومية، مما أسهم في إعادة تشكيل وجهة نظر المجتمع تجاه النساء. من خلال المسرح، تمكّنت الكاتبات والممثلات من استخدام خشبة المسرح كمنصة لإيصال أصواتهن والتعبير عن آمالهن وطموحاتهن، مما ساهم في تعزيز الحوار المجتمعي حول قضايا المرأة وحقوقها.

إن هذه الرحلة من الظلام إلى النور تُظهر كيف أن الفنون يمكن أن تكون عنصراً محورياً في إحداث تغيير اجتماعي حقيقي، حيث تعكس الواقع وتعبّر عن الهموم والتطلّعات. إن قدرة المرأة الجزائرية على التأقلم مع التحديات واستخدام الفنون كوسيلة للتعبير عن الذات تُبرز أهمية استمرار هذا النضال في كل المجالات. وفي ختام هذا السرد، يمكن القول إن التجربة المسرحية للمرأة الجزائرية ليست مجرد مسعى فردي، بل تمثل جزءاً من حركة أوسع تسعى إلى تحرير المرأة من قيود المجتمع، وتعزيز دورها كمبدعة وفاعلة في جميع مجالات الحياة.

ثالثاً-مسرحية فاطمة

تُعد مسرحية "فاطمة" للمؤلف محمد بن قطاف عملاً فنياً بارزاً يجسد تفاصيل الحياة اليومية في الجزائر من خلال شخصية نسائية مُعذّبة، تعكس واقعاً اجتماعياً واقتصادياً مُعقّداً. تتناول المسرحية قصة فاطمة، امرأة تخلت عن التعليم في سن السادسة عشرة بعد وفاة والديها، مما دفعها إلى خوض غمار الحياة العملية منذ الصغر لتوفير لقمة العيش لإخوتها. تُظهر هذه الرحلة المعاناة المستمرة التي تتعرض لها النساء في المجتمعات التي تعاني من الفقر والتمييز.

تعيش فاطمة في عالم ضيق مُحاط بالقيود، إذ لا يتجاوز فضاءها أمتاراً محدودة على سطح عمارة باردة. هنا، تتصارع مشاعرها المتناقضة بين الأمل واليأس، بين الحلم والواقع، مما يُعبر عن أزمة الهوية التي تعاني منها العديد من النساء في المجتمعات المُقيّدة بالأعراف والتقاليد. تجسد المسرحية عبر فاطمة الحياة الصعبة التي يواجهها

صورة المرأة في مسرحية "فاطمة" لمحمد بن قطاف

المواطن البسيط من الطبقات الشعبية، حيث يُكافح يوميًا من أجل البقاء في وجه قسوة الواقع.

شخصية فاطمة تُعتبر نموذجًا حيًا للمرأة القوية، التي تمتلك طيبة القلب ونقاء الروح، رغم ما تحمله من سذاجة أحيانًا، وهو ما يعرضها لمواقف صعبة. تُبرز المسرحية كيف أن بساطتها وطيبتها تجعل منها هدفًا للاساءة والتمييز، لكنها تبقى صامدة، متمسكةً بقيم النبل والثقة في الآخرين. تخلق هذه العلاقات الإنسانية مساحةً لفاطمة، حيث تنشأ حولها دوائر من الدعم والموثوقية، رغم كل التحديات التي تواجهها.

ما يُميز فاطمة عن غيرها هو قدرتها على القناعة بما هو متاح، حيث تعكس تجاربها فكرة الرضا عن النصيب، حتى لو كان ذلك في ظل ظروف قاسية. تعيش حالة من الإحباط النفسي، مع شعور دائم بالحرمان، لكن لا يترك السخط أثرًا على روحها. فسطح العمارة، الذي تتخذ منه متنفسًا، يصبح بمثابة ملاذ يؤمن لها لحظات من الراحة والانسحاب من صخب الحياة، حيث تقول: "أنا غير فوق السطح اللي نقدر نتنفس... نمشي على مهلي نجري، نغني، نبكي... أنا غير فوق السطح اللي نقدر نتنفس... غير فوق السطح اللي نلقى التوازن تاعي".⁷

تُبرز هذه الكلمات الرغبة الإنسانية العميقة في البحث عن الفضاء الخاص، حيث يتمكن الفرد من استعادة توازنه النفسي وتجاوز ضغوط الحياة اليومية. يُعتبر السطح رمزًا للحرية، المكان الذي تتنفس فيه فاطمة بعمق بعيدًا عن قيود المجتمع وظروفه القاسية.

تمثل "فاطمة" أيضًا صورة للتحديات التي تواجهها المرأة في سعيها للحصول على مكانتها في المجتمع. المسرحية تتناول القضايا الاجتماعية بجرأة، مُسلِطة الضوء على الصراعات اليومية للنساء، وتجسد الفئات المهمشة التي تكافح ضد القهر والتمييز. إن التعاطف الذي تثيره فاطمة يفتح آفاقًا للتفكير في دور المرأة في المجتمع، ويعكس التغيرات الاجتماعية التي تحتاجها لإعادة الاعتبار لقيمتها وحقوقها.

بذلك، تقدم مسرحية "فاطمة" رؤية عميقة ومعقدة للواقع الجزائري، مُعبّرة عن آلام وآمال النساء، وما يواجهنه من تحديات وصعوبات. إنها دعوة للتأمل في واقع مُعاش،

زينب شيخاوي

وتحت على التغيير، مما يجعل من المسرحية عملاً فنياً يحمل رسالة قوية حول حقوق المرأة وضرورة الاعتراف بدورها الفاعل في المجتمع.

تعتبر مسرحية "فاطمة" للكاتب محمد بن قطاف تجسيداً حقيقياً لتحديات الحياة اليومية التي تواجهها المرأة الجزائرية، وهي عمل يمزج بين الأبعاد الاجتماعية والنفسية بعمق ودقة. تلعب الشخصية الرئيسية، فاطمة، دوراً محورياً في تقديم صورة معقدة عن واقع المرأة في مجتمع يتسم بالقيود الاقتصادية والاجتماعية. تعكس المسرحية بوضوح كيف تتداخل هذه القيود مع الهوية الشخصية والأحلام الفردية.

تبدأ القصة بتمهيد الظروف القاسية التي تكتنف حياة فاطمة. بعد وفاة والديها، تُجبر على التخلي عن أحلامها التعليمية، فتدخل عالم العمل كمساحة، وهو وضع يُظهر حجم التضحية التي تقدمها. تُبرز المسرحية كيف أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية تحد من الخيارات المتاحة للنساء، مما يضطرهن للعيش في عالم ضيق محاط بأعباء الحياة. تصف فاطمة واقعها بالقول: "المهم نعيدي مكتوبي كيما نكتلي..."⁸، وهو تعبير يختصر الصراع بين الطموح والواقع المرير. يُظهر هذا التعليق الفجوة العميقة بين ما ترغب فيه الشخصية وما تفرضه عليها الحياة، مما يعكس تجربة مشتركة للعديد من النساء في المجتمع.

التضحية عنصر محوري في شخصية فاطمة، إذ تُعتبر رمزاً للنساء اللاتي يضحين بأحلامهن في سبيل رعاية العائلة. تروي المسرحية كيف أن طموحها في أن تصبح بيطرية قُدم على مذبح مسؤولياتها تجاه إخوتها، وهي تضحية تتكرر في قصص النساء اللاتي يحملن عبء العائلة. تقول فاطمة: "حلمت... حلم كبير... كنت نحل نولي بيطرية"⁹، مما يُظهر كيف أن هذه الأحلام، رغم عظمتها، تتلاشى أمام الواقع القاسي الذي تفرضه التقاليد والظروف. تحمل هذه العبارة في طياتها حزناً عميقاً وشعوراً بالندم، وهي مشاعر يتقاسمها الكثيرون ممن يعانون من فقدان الأمل في تحقيق الذات.

إضافةً إلى ذلك، تطرح المسرحية قضية الغدر والنكران، حيث تُظهر كيف أن التضحية قد لا تُقابل بالتقدير المطلوب. تعبر فاطمة عن خيبتها عندما تكتشف أن إخوتها الذين رعتهم وتخلت عن حياتها لأجلهم لا يعودون إليها بعد أن حققوا

صورة المرأة في مسرحية "فاطمة" لمحمد بن قطاف

نجاحاتهم. تقول: "أنا تمنيت كاش واحد يعزني..."¹⁰، مما يعكس إحساس الوحدة والإهمال. هذه المشاعر تشير إلى واقع قاسٍ، حيث تُعتبر التضحيات التي تقدمها النساء في المجتمع أحيانًا مجرد واجب يُفترض بهن القيام به، دون الاعتراف بمساهماتهن.

تُسلط المسرحية الضوء أيضًا على الطمع كقضية اجتماعية، حيث تتجلى آثار الجشع في العلاقات الإنسانية. يتجسد هذا من خلال شخصية عائلة بخته، التي تتزوج ابنها من ابنة أحد المسؤولين بدافع الطمع في المال والنفوذ، مما يُظهر كيف تؤدي هذه الرغبة إلى نتائج مأساوية. هنا، تعبر فاطمة عن استنكارها لهذا السلوك بقولها: "إذا أنت جبتيه مرأة مهبولة وهبالته أحنا واش ذنبنا"¹¹، مما يُظهر كيف يمكن أن تكون الطموحات المادية عائقًا أمام القيم الإنسانية الأساسية.

أما الظلم والقهر، فهما موضوعان يتم تناولهما بعمق في المسرحية، حيث تعكس تجربة فاطمة واقع العديد من النساء اللواتي يُعانين من التمييز والقهر. تواجه فاطمة الإهانات من قبل المسؤولين وجيرانها، مما يُجسد تجربة الاضطهاد اليومية التي تعيشها. تقول: "مسكين حاسب روحه من الكبار... الظلم هو اللي يخرج من آله"¹²،

مما يُظهر كيف يتجلى الظلم في حياتها اليومية، ويصبح جزءًا لا يتجزأ من هويتها. تُعد قضية النضال النسوي بمثابة ذروة الأحداث في المسرحية، حيث تسعى فاطمة إلى المشاركة في حراك نسائي يدعو إلى تحسين وضع المرأة. تأتي إليها نساء يُطالبن بالانضمام إلى الاتحاد النسوي الجديد، مما يُظهر أهمية الوحدة والتضامن بين النساء في مواجهة التحديات. تقول فاطمة: "جاتني مرأة وعطاتي ورقة مكتوب فيها: الظلم ياكل اللحظة"¹³، وهذا يعكس الوعي الجماعي بالمعاناة، ويؤكد على الحاجة الملحة للتحرك من أجل تغيير واقعهن.

في المحصلة، تُعتبر مسرحية "فاطمة" دراسة عميقة ومعقدة لحياة المرأة الجزائرية، حيث تتناول قضايا متعددة مثل الفقر، التضحية، الغدر، الطمع، الظلم، والنضال النسوي. تُظهر المسرحية كيف يُعاني الأفراد من قسوة الحياة، وكيف يمكن أن تتحول المعاناة إلى قوة دافعة نحو التغيير. من خلال شخصية فاطمة، نرى صورة المرأة التي

زينب شياوي

رغم كل التحديات تبقى صامدة، متمسكة بأمل في غدٍ أفضل، مما يجعل المسرحية صوتاً للتغيير ودعوة للعدالة والمساواة في المجتمع.

خاتمة:

في ختام هذا البحث، يمكن تلخيص النتائج التي توصلت إليها حول دور المرأة في المسرح، والتي تكشف عن أبعاد متعددة وتأثيرات عميقة في هذا المجال:

- موضوع مركزي في الإبداع الفني: لقد أصبحت المرأة محور اهتمام العديد من النماذج الإبداعية، بما في ذلك المسرح. يبرز هذا الاهتمام كدليل على قدرة المرأة على التأثير في هذا الفن، وتقديم رؤى جديدة تعكس تجاربها ومعاناتها. المسرح، كوسيلة تعبير، يسمح لها بنقل قصصها بطريقة تعبر عن واقعها المعيش.

- تحديات الممارسة الفنية: تُظهر النتائج أن التأخر في الممارسة الفنية للمرأة، سواء في الكتابة أو الإخراج، يرجع إلى عدة عوامل معقدة، من أبرزها العوائق السياسية والاقتصادية. هذه العوامل تخلق بيئة غير مواتية، تحد من فرص النساء في التعبير عن أنفسهن والإبداع، مما يؤثر سلباً على مشاركتهن في المشهد المسرحي العربي.

- محدودية المشاركة الإبداعية: رغم الجهود المبذولة، ظلت مشاركة المرأة في الإنتاج المسرحي الجزائري محدودة، حيث اقتصر دورها لفترة طويلة على التمثيل والأداء. ومع ذلك، فإن السنوات الأخيرة قد شهدت ظهور مبدعات في مجال الإخراج المسرحي، مما يشير إلى تغيير تدريجي في هذا الاتجاه. هذا التغيير يحمل في طياته وعداً بفتح آفاق جديدة للنساء في هذا المجال.

- البدايات النسائية في الإخراج: يُعتبر إخراج مسرحية "أغنية الغابة" من قبل المخرجة حميدة أية الحاج، بالتعاون مع أحمد بو خلط، خطوة بارزة نحو تمكين النساء في مجالات الإخراج. هذه التجربة تمثل بداية جديدة تسهم في تغيير المفهوم التقليدي لدور المرأة في المسرح، وتفتح الطريق أمام مزيد من الإبداع النسائي.

- قضايا اجتماعية معقدة: تُظهر مسرحية محمد بن قطاف، من خلال تقديم شخصية فاطمة، كيف تشكل المرأة موضوعاً محورياً يتناول قضايا متعددة مثل الفقر والظلم والقهر والتضحية. هذه القضايا لا تعكس فقط معاناة الفرد، بل تُبرز أيضاً التحديات

صورة المرأة في مسرحية "فاطمة" لمحمد بن قطاف

الاجتماعية والاقتصادية التي تواجهها العائلات الجزائرية، مما يعكس الواقع المعقد الذي تعيشه هذه الفئة.

- العمق الإنساني: تعكس مسرحية "فاطمة" بعمق المشاعر الإنسانية والمعاناة اليومية التي تتعرض لها النساء، مما يمكن المتلقي من التعاطف مع الشخصيات وفهم الأبعاد النفسية والاجتماعية لتجربتهم. هذه التجربة الإنسانية تقدم لنا رؤية ثاقبة حول كيفية تأثير الظروف الاجتماعية والاقتصادية على حياة المرأة الجزائرية. في النهاية، تؤكد هذه النتائج على أهمية تعزيز دور المرأة في المسرح، سواء من خلال الكتابة أو الإخراج أو الأداء، وتبرز الحاجة المستمرة لدعم مشاركتها في جميع مجالات الفن والثقافة. إن الاستثمار في الإبداع النسائي هو استثمار في مستقبل الثقافة العربية، حيث يمكن للنساء أن يساهمن بأصواتهن الفريدة وتجاربهن المتنوعة في تشكيل واقع مسرحي أكثر شمولية وعمقاً.

المراجع:

- صورة المرأة في المسرح الجزائري ملاءة اللثام أنموذجاً، مصطفى بلنوار، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2010/2011 .
- صورة المرأة وأبعاد توظيفها في مسرحيات السيد حافظ . صغيري عفاف. زوالي نادية ، مذكرة ماستر جامعة المسيلة . 2019.2020 .
- أحسن تليلاني تجربة المرأة الجزائرية في كتابة المسرح com.elchamaml aswat.www
- فاطمة ، محمد بن قطاف ، مدونة ابو عبدو سنة 1990 دط .
- مجلة الموقف الأدبي، سوريا، ع، 1، 1972 .

الهوامش:

- ¹ ينظر: واقع الأدب المسرحي في سوريا، مجلة الموقف الأدبي، ع، 1، 1972، ص.252.
- ² ينظر: صورة المرأة في المسرح الجزائري ملاءة اللثام أنموذجاً، مصطفى بلنوار، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2010/2011 ص 32.
- ³ ينظر: صورة المرأة و ابعاد توظيفها في مسرحيات .السيد حافظ . صغيري عفاف. زوالي نادية .مذكرة ماستر جامعة المسيلة . 2019.2020 ص 45
- ⁴ ينظر: الدراما النسائية في المسرح العربي الحديث، رؤذان أنور مدحت ، ص48

⁵ ينظر: المرجع السابق، 49.

⁶ ينظر: أحسن تلبالي تجربة المرأة الجزائرية في كتابة المسرح www.elchamamlaswat.com

⁷ فاطمة . مُجَّد بن قطاف . مدونة ابو عبدو سنة . 1990 د ط . ص 21.

⁸ مُجَّد بن قطاف، فاطمة، ص15

⁹ المرجع السابق، ص15

¹⁰ المرجع السابق، ص16

¹¹ المرجع السابق، ص10

¹² مُجَّد بن قطاف، فاطمة، ص31

¹³ مُجَّد بن قطاف، فاطمة، ص27